

الشعر والشعراء

في كيرالا وأساليبهم

الدكتور ك . م . محمد

الأستاذ المساعد . جامعة كالكوت - الهند

علاقة كيرالا التجارية

كيرالا ولاية صغيرة في جنوب الهند . كانت هذه البقعة معروفة لدى العرب باسم مليبار ، وكان تجار العرب يختلفون اليها منذ سالف القرون^(١) . وكانت عدة موانئ بسواحل مليبار تستقبل سفنهم التجارية . وترجع هذه العلاقة الى عهد سليمان عليه السلام (٩٨٠ - ٩٣٥ ق م)^(٢) . واشترى اليونان الزنجبيل والفلفل والقرنفل من مليبار منذ القرن السادس قبل الميلاد^(٣) . كان العرب يتتاعون ما انتجته أرض كيرالا الخصبه من الحبوب والثمار ويحملونها في مراكبهم الى المدن حيث كان يتتاعها منهم الفينيقيون والمصريون^(٤) . ويقول المؤرخ (سردار ك . م . بنكار) : كانت لكيرالا علاقة تجارية قديمة مع العرب منذ أزمنة طويلة . وكان التجار العرب لاسيا أهل مسقط والجزيرة العربية يقومون بزيارة موانئ مليبار^(٥) . وكان يزرع الفلفل في تربة مليبار وحدها ، قبل بدء زراعته في جاوة ، قبل مجيء الهولنديين ، ويجذب الأجانب من سكان البلاد الباردة^(٦) . وتقع مكة المكرمة في طريق القوافل التجارية القادمة من الصين والهند وسواحل افريقيا في الجنوب ، ومن دمشق

والقسطنطينية في الشمال . والشاعر الجاهلي امرؤ القيس (٥٠٠ - ٥٤٠ م) يشبه بعن الآرام الجاف في عرصات ديار حبيته بحب الفلفل . يقول^(٧) :

ترى بعن الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل
والشاعر عنتره (٥٦٥ - ٦١٥ م) يشبه سواد شعر أمه بالفلفل الأسود .
يقول^(٨) :

وأنا ابن سوداء الجبين كأنها ذئب ترعرع في نواحي المنزل
الساق منها مثل ساق نعامة والشعر منها مثل حب الفلفل

وهذا يدل على أن الفلفل كان معروفاً عند العرب قبل الإسلام . ونستدل من ذلك أن العرب كانت لهم علاقة تجارية مع أهل كيرالا قبل الإسلام . كانت تصدر الأمتعة من سواحل الهند إلى اليمن ، ومن هناك إلى سورية كما ورد في القرآن الكريم : ﴿ وَإِنهَا لَبِإِمَامٍ مِّبِينٍ ﴾^(٩) . وكذلك العرب كانوا يزورون سيلان لتصدير جواهرها والأحجار الثمينة بطريق كيرالا ، وكانت سيلان معروفة لديهم من أعوام سالفة^(١٠) . والتجار العرب الذين جاؤوا إلى كيرالا حملوا معهم رسالة الإسلام ، والدعوة إلى كلمة التوحيد ، حتى انتشر دينهم وثقافتهم ولقبتهم العربية . وكانت كيرالا أول بقعة في الهند انتشر الإسلام فيها . وقد سجل تاريخ الهند أن الإسلام دخل في كيرالا من بقاع الهند في السنة الخامسة من الهجرة . وفي ذلك الوقت بنيت مساجد كثيرة كمسجد (ماداي) قريبا من (كتنور) ، ومسجد (كدنكلور) .

وفي رأي (كانداز شريدارن ناير) توسعت هذه العلاقات التجارية في عهد ملك الهند (وجياجولا)^(١١) وبعد أن أنزلهم الله بزوال ولايتهم ازدادت التجارات والصادرات في سواحل بلاد الهند^(١٢) .

كانت علاقة ملوك « السامريين » مع تجار العرب قوية ، وأصبحت كالكوت مركز الفلفل ، واشتهرت بتصديره الى السواحل العربية الجنوبية ، ولم يزل ينقل الى البلاد البعيدة من هذا الميناء ، فصار السامريون أغنى ملوك الهند ثروة في السواحل العربية .

ولما انبثق فجر الإسلام في سواحل كيرالا غير كثيراً من نظمها الاجتماعية التي كانت مستمدة من عدة أنظمة ، وكان لجميع القبائل الهندوكية رؤساء . وكان عدد المسيحيين نحو خمسة في المئة ، ويعيشون حول كنائسهم . ويهودٌ عددهم كثير « بكرانكنور » . وسكن العرب المسلمون بها واستوطنوها^(١٣) .

استيطان العرب المسلمين

وفي السنتين السابعة والثامنة للهجرة اعتنق الاسلام مئة من قبائل العرب . وقبائل شواطئ اليمن اعتنقوا الاسلام في السنتين التاسعة والعاشر ، وأكثرهم تجار يصدرون من موانئ سواحل فارس ، ومصر ، و (كونكنم) و (ملبار) و (معبر) و (سيلان) و (جاوا) و (الصين) وغيرها . وأينما وصلوا بلغوا رسالة دينهم ، فصار ذلك سبباً لانتشار الإسلام بكيرالا^(١٤) . يقال إن مسجد (ماداي) قد بُني في عهد النبي (ص)^(١٥) . وتزوج العرب المسلمون من مسلمات كيرالا فأنجبت هذه العلاقات نسلاً جديداً وأمة خاصة . وهم يعرفون اليوم باسم (مابلا) . وثقافتهم وسياستهم وتواضعهم لما أخذت مأخذها في هذا المجال بدأ الهنود يعتنقون الإسلام فاصبحت الطبقة المنحطة منهم طبقة عالية لأن الاسلام منحهم حرية كاملة ، والملوك يحرضون ويأمرون الصيادين بسواحل البحار والأكارين بقبول الإسلام .

شعراء كيرالا وأساليبهم

ولما اعتنق عدد كثير من سكان كيرالا الإسلام اضطروا الى تعلم اللغة العربية قراءة وإنشاء ، لأنها لغة القرآن والحديث ، وتعلم الأحكام والقوانين الدينية والسور الواجبة والمسنونة في الصلاة والأدعية والأذكار والتحية وغيرها لا يتم الا بها ، وكان من العرب من يقدر على ذلك ، فبدلوا غاية جهدهم وإمكانياتهم في تعليم اللغة العربية ، حتى أصبح عدد كبير من المسلمين يتكلمون بالعربية . وأخذت تعقد في المساجد حلقات علم ومواعظ ، ولا يزال الناس يجتمعون في هذه الحلقات الدينية كي يكونوا بارعين نابغين فيها ، وأكبر دليل لنبوغهم وبراعتهم أنهم قرضوا الشعر في موضوعات مختلفة يعبرون عن عواطفهم الدينية والدينيوية . وغالب موضوعاته ترحيباً بالعلماء والامراء ورثاؤهم ، وتهنئة الأصدقاء والأقرباء في احتفالات الزواج وغيرها . ولعل أول شعر وصل الينا هو تخميس البردة التي قرضها القاضي أبو بكر بن رمضان الشالياتي المتوفى سنة ٨٩٥ هـ^(١٦) . وكانت هذه القصيدة خالية من التكلف والتصنع ، يقول فيها^(١٧) :

رفقاً بنفسك يا من بات ذا ألم كم ذا التأوه في محلولك الظلم
مالي أرى حمرة في الخد كالغنم أمن تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
أم فاح طيب عهد ثم جازمة أم ناح ورق بأشجان ملازمة
أم لاح أنوار ليلي في منادمة أم هبت الريح من تلقاء كاظمة
وأومض البرق في الظلماء من أضم

وللشالياتي تخميس لقصيدة (بانة سعاد) باسم (راحة الفؤاد)
لاشتماله على العاطفة الدينية ، يقول في الغفلة عن الموت^(١٨) :

الى متى المرء تفويه إقامته بدار دنيا وقد صحت كرامته
قولوا لمن غره فيها جلالته كلُّ ابن انثى وإن طالت سلامته
يوماً على آلهِ حذاء محمولٌ

ومن تلاميذ الشالياتي :

الشيخ زين الدين بن علي المتوفى سنة ٩٦٨ هـ / ١٥٢٢ م وهو عالم مشهور بكيرالا ، أسس المسجد الجامع (بفنان) والدرس فيه ، والطلاب لا يزالون يقبلون عليه من جميع أنحاء الهند لطلب العلم . وله أكثر من عشرين كتاباً نظماً ونثراً^(١٨) . كمرشد الطلاب ، وسراج القلوب وعلاج الذنوب في التصوف ، وشرح ألفية ابن مالك ، وتحفة ابن الوردي في النحو ، وتحريض أهل الايمان على جهاد عبدة الصلبان ، وذكر الموت ، وهداية الأذكياء الى طريقة الأولياء ، وهي قصيدة طويلة في التصوف يذكر أن السعادة الابدية هي غاية الانسان ، والطريق الى هذه الغاية يحتوي الشريعة والطريقة والحقيقة ، ومثل الشريعة بسفينة ، والطريقة ببحر ، والحقيقة بدرّ ، ومن أراد أن يحصل الدر فلا بد أن يركب السفينة ، ويفوص في البحر ، فيقول^(٢٠) :

إن الطريق شريعة وطريقة وحقيقة فاسمع لها ما مثلاً
فشريعة كسفينة وطريقة كالبحر ثم حقيقة درّ علا
من رام درّاً للسفينة يركب ويفوص بجرّاً ثم درا حصل

ويقول في التوبة :

فالتوب مفتاح لكل طاعة وأساس كل الخير أجمع أشملاً

وكتاب (تحريض أهل الايمان على جهاد عبدة الصلبان) : هو قصيدة تحتوي (١٧٢) بيتاً^(٢١) ، يذكر الشدائد المؤلمة التي لقوها في أيدي

البرتقاليين ويحرض المسلمين على جهاد الأفرنج ، لانتقاذ المسلمين وبلادهم من الكرب والضراء والذلة والكفر .

يقول (٢٢) :

وبغوا في مليبار بأصناف بغيرهم
من الأسر والنهبي وإحراق مسجد
وأنواع شدات وأجناس فتنة
وخرق كتاب ثم هتك حرمة

وصدّ عن الحج المعظم قدره
وقتل لحجاج وسائر مؤمن
وسخر من الاسلام والمسلم الذي
ويعول في فرضية الجهاد :

جهادهم فرض على كل مسلم
وحتى على عبد بلا اذن سيد
قوي بنفس ثم زاد وعدة
وولد بلا اذن وزوج قوية

فيا أيها السادات أنتم رجائنا
ونحن عطاش أنتم السحب تظفر
بفضل إله العرش في كل شدة
فيا ليت شعري هل نفوز برية

فقد حرض المولى على الغزو للعدى
فانا لمن مستضعفين اجعلن لنا
خصوصا على غزو لتفريج كربة
ولياً نصيراً من لدنك برحة

ويقول في فضل الجهاد :

وان جميع البر في جنب غزوة
كذلك كل البر للغزو نقطة
كنقطة ماء في البحار الزخيرة
يجنب علوم لازدياد الفضيلة

ويقول إن الذين قتلوا في سبيل الله يتمنون أن يمودوا أحياء

ليفوزوا بالشهادة مرة أخرى :
فقالوا نريد الردّ للروح في الحشا لنقتل في سبيل الإله بمرّة

وفي آخر القصيدة ينصح المسلمين للجد والعمل ويقول :
وما الله رب العالمين يغيّر نعيمًا بقوم أو بلاءً بزمرة
إذا لم يغير هؤلاء لما بهم من الحال ذات الحسن أو ذي قباحة

ويختم القصيدة بالدعاء الى الله :
وأهلك عدانا مثل قوم تمردوا بما شئت من حرق وغرق وقتلة
فليس لنا إلا رجاءك ربنا فانك كشاف الكروب بقدرة
وصل على خير الكرام وآله وصحب وتبّاع بحسن طوية

توفي (الشالياتي) في القرن الخامس عشر و (المخدم) في القرن
السادس عشر الميلادي . ولم ينقل اليها أخبار اي شاعر في القرنين السابع
عشر والثامن عشر الا القاضي محمد بن عبد العزيز المتوفى سنة
١٠٢٥ هـ / ١٦١٦ م . وللقاضي خمسة وعشرون تاليفاً^(٢٣) ، أكثرها
منظومة . ومن أحسن منظوماته :

(١) نصيحة الإخوان : تتفوق هذه القصيدة في العاطفة الدينية ،
وتحتوي ٨٠ بيتاً ، مطلعها^(٢٤) :

إلى كم أيها الأنسـانُ على التسويـف والنسيانُ
وترجـو العفو والغفرانُ وتغـيـب ربـك الرحمن

ويصور الحياة الدنيوية في هذه الأبيات :

وفي لذاتـها مر وفي خيراتـها شر
وفي جذواتـها ضر وفي مرجـها خسـران

(٢) فتح المبين : هذه قصيدة تاريخية يبين فيها الأحوال السياسية الداخلية في كيرالا في عصره . وكان المسلمون يميلون الى جانب ملك (السامري) وينصرونه في الحروب على الافرنج ، يصف السامري قائلاً^(٢٥) :

وهو محبٌ ديننا الاسلام والمسلمين بين ذي الأنعام
ناصر ديننا ومجرى شرعنا حتى بخطبة على سلطاننا

ويصف قدوم الافرنج قائلاً :

لما أتى في الهند كالجراد ليجعل الفلفل والزناجيل
متجراً بنيّة الفساد لنفسه وللورى كالنارجيل
عامٌ ثلاثٍ بعد تسعمائة من هجرة المختارين النعمة

.....

فقام كالعبيد حتى تجتمع قوته كاملة ثم ارتفع

ويصف ظلمهم المسلمين ويقول :

كذاك أجرى ما جرى من أمره ولا نطبق حصره بذكره
من حرق بلدانٍ وهدم مسجد وجعله للخلق مثل الأعبد

ويبين كيف منعوا تجارة المسلمين فيقول :

وَمَنَعَ المراكبَ المكيّةَ وكان ذا من أعظم البليّة
وخصّص الفلفل والزناجيل لنفسه وللورى كالنارجيل

(٣) ومقاصد النكاح ، والفرائض الملتقط ، وهما قصيدتان طويلتان جدا . وهما في الفقه ، ونظمها بسهولة الحفظ .

نرى في الشعراء السابقين العاطفة الدينية النبيلة واضحة جدا ، وان الشعراء لهم شخصية خاصة فهم يدعون الناس الى الاخلاق الكريمة .

وفي القرن التاسع عشر اشتهر ثلاثة من الشعراء وهم السيد الشيخ الجفري المتوفى سنة ١٢٢٢ هـ / ١٨٠٢ م ، والقاضي عمر بن علي البلنكوتي المتوفى سنة ١٢٨٢ هـ / ١٨٥٢ م ، والقاضي أبو بكر بن محيي الدين الكالكوتي المتوفى سنة ١٢٥١ هـ . وعندنا أشعار كثيرة في هذا القرن . يتميز هذا القرن بتنوع المواضيع والأساليب والابتكار في المعاني والبراعة في الخيال . يعتبر هذا العصر عصر النهضة في الشعر العربي في هذه البقعة . والشعراء في هذا القرن أشهرهم القاضي عمر بن علي البلنكوتي . وله قصائد كثيرة^(٣٦) . بعضها ذات مزية عجيبة . يذكر بعض القصائد بالحروف المهملة مرة وبالمعجمة مرة أخرى . قصيدته (لاح الهلال) في مدح النبي كل حروفها مهملة . ومنها :

روح العوالم سعد الله حامده حام لعاص امام الرسل كلهم
والقاضي عمر بن علي البلنكوتي له تخميس رائع يعرف (بصلّى
الإله) التي أنشدها أمام الروضة المباركة . نرى فيها العاطفة والحب
والشوق الى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ساطعة من أعماق قلبه حين
يقول^(٣٧) :

يا أكرم الكرما على أعتابكم عمر الفقير المرتجي لجنابكم
يرجو العطاء على البكاء ببابكم والدمع في خديه سال سجيما
صلّوا عليه وسلّموا تسليما

ما جفّ دمعّ سال من عينين لكنه يجري على خدين
من حب قلبي سيد الكونين حياً وميتاً في التراب رميا
صلوا عليه وسلّموا تسليما

يوجد الخيال المؤثر واضحاً اذ يقول في نفائس الدرر :

سبحان من بالانكشاف قد استتر
عجبا لظام حامل فوق الظهر
والشاعر يصف النبي قائلا :

بحر العطايا المصطفى العالي القدر
ركن الهدى وبل الندى وهو البدر
اهل الشفاعة خير من جا بالزبر
بتامه ولنوره استحيا القمر

والقصيدة « عم البشرى » لطيفة من حيث المعاني والألفاظ
والأسلوب معا ، يقول فيها في وصف النبي :

خير الخلق قدم الصدق
دعني أحكي وصف المكي
أشنب أفلج أنجب أبلج
أدعج عين أبرق لـون
حلّو النطق ما هو هذرا
فهو كمسك عرفا عطرا
أهيب أدمج أحسن ذكرا
أفصح لسن أعظم صبرا

وقصيدته (ألف العاصي) كانت محبوبة لدى المغنين في الأعراس
والولائم ، وله قصيدتان أيضاً ، إحداها باسم (نفائس الدرر) والأخرى
(مقاصد النكاح) .

والشاعر الثاني في هذا القرن هو القاضي أبو بكر بن محيي الدين بن
علي . ولد القاضي في أسرة قضاة كالكوت سنة ١١٨٦ هـ / ١٧٨٧ م ،
وكان هو أحد أصدقاء القاضي عمر السابق ذكره ، وقد توفي سنة
١٨٥١ م . وله قصيدة جيدة في مدح الملك (مظفر الدين خاكان) وقد
أبدع في وصف ممدوحه حين يقول^(٢٨) :

رفيع النوى مولى ملوك الثرى علت لرفعته رايات مجد بشهرة

.....

كليث مع الأشبال حل بغابة لدى ما تلقى ما يضر بشيلة

فما تان يلقى من عدو مقابله ولو مثل رمل كثرة غير أكلة
أنام الورى في ظل أمن من الردى أفاض عليهم سجل عدل وبرة

.....

لاطناب هذا جرني بحر وصفه اذا جئت شط البحر غرغا لغرفة
فهاجت بي الأمواج في لجة العلا فحرت وخفت الموت في وصف حضرة

وله مرثية في أبيه . وفيها يصف أباه بأحسن أوصاف ، ويقول إنه
كان يخضع له رقاب الناس جميعا ، وإنه كان أدبيا ولبيبا وحكيما . وكان
يأتي اليه قضاة مليبار وكان زينة لهذا البلد ولجميع المجالس ، يقول :

أهل الكتابة والشعراء والخطبا في جنبه خضعت رقاب كلهم
ذو هيبة ووقار والسكينة ذو مجد أديب لبيب صاحب الحكم
باز القضاة وتاج للمليبار زيد من للمجالس بل في كل قطرهم

وله رسالة في الشعر كتبها الى الشيخ الفاضل الشيخ محمد شمس
الدين المكي ، تحتوي القصيدة على (٢١) بيتا . وهذه الرسالة تدل على
علاقة القاضي بالعلماء العظام خارج الهند ، يمدحه الشاعر ويتبادل
الاخبار والمودة الخالصة . يقول :

ياخير من في المجلس المتكرم نور المكريم نورها المتبسم
بدر الزمان وبذر أثمار الهدى رب الهداية ذي الصراط الأقوم

.....

ضحكت زواياكم بذكر قد زهت بجمالك دوما ثنايا المسم

والسيد شيخ بن محمد الجفري شاعر كبير في هذا القرن^(٣٩) . ولد
الشيخ سنة ١١٢٩ هـ في بلدة تريم من بلاد حضر موت وارتحل الى
(كالكوت) سنة ١١٥٩ هـ ، ومن أقربائه الصوفي المشهور السيد علوي بن

الجفري الذي دفن (بمنبرم) قريبا من (ترورنغادي) ، ولأسرته يد
طولى في نشر دين الاسلام في هذه البقعة . توفي سنة ١٢٢٢ هـ . ومن
مميزاته أنه أول من أنكر كثيراً من المفاسد التي يراها مخالفة للأحكام
الدينية .

قال في تحريم التدخين :

يا من بريح الحشيش دائماً طاروا وعطلوا لبيوت الله واختاروا
ترك الصلاة وترك الصوم واعتقدوا خلاف ما أوجب الجبار اجبار

.....

معطلين لما جاء الرسول به فهم زنادقة أيضاً وفجار
وينصحهم بالتوبة الى الله - ويقول :

توبوا وعودوا الى ما قال سيدنا يا من بريح الحشيش دائماً طاروا
انتقد الشيخ الجفري بعض المتصوفين قائلاً في بلدة (كندوتي) :

تعاطوا بالتصوف كل سوء ولبسُ الصوف إعتقده برآ
فقير لا يصلي قيل صوفي يرى بالطبل قد أحسن زمرا

.....

وباسم الفقر قد ضلوا أناساً أضلوا غيرهم سرا وجهرا

وفي القرن العشرين قد اشتهر كثير من الشعراء ، ومنهم من تفوقوا
في أنواع مختلفة من الشعر ، في مقدمتهم أبو ليلى محمد بن ميران الذي
يعتبر من أشهر شعراء كيرالا . ومن هذه الطبقة شاعران أيضا وهما محمد
الفلكي الجمالي وأبو الرحمة محمد الفيض .

١ - ولد أبو ليلى في بلدة (بلكال) سنة ١٣٣٢ هـ / ١٩١٣ م (٣٠) .
التحق أبو ليلى المشهور (ب P.V) بالمدرسة التدريبية بعد نيل شهادة

النهائية من المدرسة الثانوية . ولكنه درّس بمدرسة المنار بشاليات قبل انتهاء دراسته بالمدرسة التدريبية . وعمل معلماً في مدارس مختلفة منها المدرسة بكالكوت و (ماهي) و (كوتياي) و (مريور) وعمل أيضاً في الصحافة والسياسة والمسكر . ثم راح الى باكستان وعين مترجماً في السفارة السعودية ولكن بعد بضع سنوات صار مريضاً واستقال من وظيفته . وسافر الى المملكة العربية السعودية للحج راجياً الرجوع الى وطنه بعد أداء فريضة الحج . ولم تتحقق أمنيته ؛ وتوفي سنة ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م في مكة المكرمة .

كان يقرض الشعر في موضوعات مختلفة ، ويرسل به إلى أصدقائه وإلى المجلات . وأشعاره تترقرق فيها عواطف نبيلة وخيالات بديعة ومعان فائضة . ويوجد في أسلوبه عروبة امرئ القيس وخيالات أحمد شوقي . اذا مدح أفرح واذا هجا أبكى واذا رثى اسكب الدماء من عيون القارئين .

وله قصيدة في تهنئة صديقه عمر بن أحمد البلكوتي بمناسبة زواجه من الأنسة فاطمة . يقول فيها^(٣١) :

وارتج من التعب الشديد وانت في نادي السرور فيا له من نادي
عرس بمدحته الطيور صوادح وبها ملائكة السماء تنادي :
ابشر فتاة جاء يدخل خدرها عمر البلكوتي باستعداد

ولباسه التقوى فيسحب ذيله من خلفه أنى يرح ويغادي
ونهاره العمل المقيد لقومه والليل في الصلوات ليل سهاد

جازى الاله عفافه بحليلة حسناء ذات محبة ووداد

ويصف العروس فيقول :

فأقت نساء العالمين بعلمها
مالي ليسعدني بوصف جمالها
وتزينت بثقافة ورشاد
إلا حمائم في الحدائق شادي

وأشده يهنئ مجلة المرشد فقال :

يامرشد الغراء أهلاً مرحباً
ما أنت إلا ديمة تنصب بأش
مدي يديك يرق أمة أحمد
تسقاء أمتنا مع القلب الصدي
ء الدين ان تنفي ظلام الملحد
ما أنت إلا الشمس تطلع في سما

ويصف الشاعر أم الفراق في رسالة أرسلها الى صديقه أبي سلمى :

تذكرُ فرقة الاحباب تذي
دعا أسفي الى الاسعاف دمعي
حشاي وكل قلبي في احتراق
فلبى بانسكاب واندفاق
على خدي دراكا كالسواقي
وأحمر قانياً كدم مرق
سيجري دائماً طول اغترابي
سخيناً حامياً كذاب فض

وقد أبدع الشاعر حين وصف العاصفة التي دمرت مليون سنة

١٩٤١ م يقول :

تلك العواصف أعيت كل واصفها
دويها يملأ الأذان صلصلة
وظنها الناس نفخ الصور وانذعروا
كما وينهد من تيارها الحجر

.....

وحل نار من الاعصار محرقة
ترمي شرارا كشهبان فاشجر
ما كان يقوى على إطفائها المطر
ينجو من الريح الا آجّه الشر

وكان إذا هجا فهو سيف قاطع . يهجو أهل (ترورنغادي) فيقول :

ويلا لأهل ترورنغاد ياواها
عجبت كيف نجت من رجفة أخذت
ويلا لمن حلها أورام سكتهاها
أهل القرون التي ضلت بطغواها

٦ - م

فانها قرية أخلاقها فسدت إبليسُ سيدها الراعي ومولاها
سفينه الشّرّ فالأموالُ غايتها وباسم قارون مجراها ومرساها
تفوق بالبخل أنطاكية منعت قرى نبين جاعا حين جاءها(١)

ويشدد هجاؤه فيقول :

وساكنوها شياطين فلا جل للخير فيهم ولا نوق وسقياها
قوم قد أنتزعت كلُّ المكارم من أخلاقهم ففدوا للوحش أشباها
هم البهائم إلا أنهم بشرٌ شكلا ونطقا وأعضاء وأفواها

.....

جهنم وضعت في أرضها ليرى خصال سكانها السوءى وسيهاها
ماذا جنيتُ من الآثام في عمري حتى أعذب في الدنيا بسكانها

وله مرثية طويلة رثى بها القائد الأعظم محمد علي جناح المتوفى سنة
١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م يصور فيها فجيعة بأبداع التصويرات يقول :

كيف السلو وفي الأكباد أجراح ومن تألمها الاحشاء تنصاح
لله درك يا عيني ولا تدعي قطرا من الدمع الا وهو سخاخ

ويشبه الشاعر مسلمي الهند قبل الاستقلال بركاب سفينة وقعت في
بحر هائج أصابتها عاصفة شديدة وليس عليها ملاح ، وكان ذلك الحال
هو السبب لتأسيس (جمعية المسلمين) في الهند التي قادها محمد علي
جناح ، فهو يقول في وصف ما قام به :

[(١) يشير الشاعر الى الآية الكريمة (٧٨) الواردة في سورة الكهف : ﴿ فانطلقا حتى
إذا أتيا أهل قرية استطعنا أهلها فأبوا أن يضيفوهما ﴾ .
واختلف العلماء في القرية فقال بعض المفسرين انها انطاكية (تفسير القرطبي ١١ :
٢٤ ، الكشاف للزمخشري ٢ : ٥٧٥) / المجلة] .

رأى بني دينه في الهند ليس لهم راع وهم في أوادي التيه سباح
 كأنهم في سفين بين عاصفة هولى وليس على السكان ملاح
 أو هم يياذق في الشطرنج يلعبها على السياسة مكار وطماخ

ثم يصف الشاعر شخصية القائد الاعظم وسيادته ويقول :

قاموا إليه جميعا مهطعين سوى من هم إلى فئة الكفار ركاح
 تهيؤوا لجهاد تحت رايته وزلزلوا العرش بالتكبير اذ صاحوا

ولابي ليلي ديوان في الشعر ولكن لا يحتوي كل الاشعار التي قرضاها .

٢ - محمد الفلكي - هو الشاعر الثاني في هذه الطبقة^(٣٢) . ولد بقريية (ولتور) قريبا من (ولانجيري) سنة ١٣١٨ / ١٩٠٩ م ، وبعد دراسته في المساجد التحق بالكلية الجمالية بمدراس وحاز شهادة أفضل العلماء سنة ١٩٤٦ ، وعين فلكي مفتشا لتعاليم المسلمين ، ولكن لم يستطع أن يستمر في هذه الوظيفة طويلا . عمل معلما في المدرسة العالية وتقاعد منها سنة ١٩٦٨ م . وبعد ذلك عمل مدرسا في كلية جمال محمد (بترشي) وكلية العربية (بترورنغادي) وكلية الجمالية (بمدراس) . وفي سنة ١٩٧٦ التحق بدار الأيتام (بتلشيري) باسم دار السلام ناظرا لها ، وفرغ منها سنة ١٩٧٨ وتوفي سنة ١٩٨٢ .

قد اشتهر فلكي شاعرا عرييا في كيرالا . نشرت المجلات والصحف أشعاره في أحيان مختلفة ، وأشعاره تتميز بالخيال البديع والاستعارة والتشبيه . وهي خالية من التكلف ، وكان يقرض الشعر بعاطفة عميقة .

وله قصيدة في وصف كلية روضة العلوم العربية بفاروق يصفها الشاعر روضة تثر في كل المواسم ويتمتع الناس بروائحها في كل حين يقول :

في روضة هبت بريها الصبا
تثرى فطابت أنفـس وبلاذ
في روضة هبت رياح علومها
فارتاحت الأرواح والأجساد
أشجارها هي باسقات كلها
والى جناها تضرب الأكياد
فلكم على أغصانها وفنونها
للبلبل التفريد والانشاد
ولكم لها ظل ظليل نحو
للطالب التأويب والإشاد
أفاؤها وظلالها فيها الهدى
آجامها منها العلوم تصاد

ويقول في وصف الخريجين منها :

هي أزهر الهند الذي يرتاده
من قد رجوا نيل العلا وأرادوا
كم قد تخرج منه أرباب العلا
فكانهم فوق الثرى أوتاد

ويقول في تهنئة « فنان » :

أيـا فـنان كوني ذات فخر
بهذي الدار مورد كل صادي
انيري هذه الدنيا بنور ال
علوم وهذيها بالوداد

ويقول في مدح دار الايتام ببلدة « ترورنغادي » :

وهذي الدار مفخرة يقيناً
لأرض الهند وهي لها وسام
بها افتخرت مليبار وصارت
بها بين البلاد لها احترام
بها أضحت ترورنغاد محسو
دة حسدته مصرّثم شام

وقد أبدع الشاعر حين وصف كلية العلوم والفنون جمال محمد (بتهل

نادو) - يقول :

من علم الانسان مالم يدره
فامتاز بالشرف الرفيع الامجد
وهدى الصراط المستقيم عبادة
وأنا لهم أوج العلى والسؤدد
قد اسسوا للعلم دورا في الثرى
تهدي البرايا كالسراج الموقد
منها بناء شامخ ذو رفعة
في أرض ترشى قد زها كالفرقد

ويقول في الترحيب بـ (يم . ك . حاجي) :

أحيا الالة البرُّ « ام كي حاجي » دهرأ طويلا نيرا في السداجي
هو دون شك وامتراء قد غدا في رأس « مسلم ليچ » مثل التاج
عون اليتيم وملجأ المسكين وملاذ كل الموز المحتاج

ويصف الشاعر حبه لزوجته وتعلقه بها حين أخذها أبوها وطلب
منه الطلاق : العاطفة عميقة في هذه الأبيات :

أتيت الى حـديقتـها لقيت هنا بشاشتـها

.....

ولو لا دفعُ والدها لكنت هنا مؤانستها

ويصف ثورة مليبار سنة ١٩٤١ م ويقول :

أهل البريطانية الاعلاج منُ ظلموا عبـاد الله دون مرء
قد أركبـوم في قطار بضائع قد أغلقت أبوابها بعماء
قد أركبـوم من ترور عربية قد اسرعت نحو الردى كهواء

.....

ماتوا جميعاً باختناقٍ يالها من قسوةٍ وصرامة صماء
والآن نبكيهم بدمع هاطل يجري على الخدين مثل الماء

ومن مراسلاته قصيدة كتبها الى صديقه عبد الله النوراني الشاعر ،
يصف فيها حنينه اليه يقول :

الى الذي هو ذو علم وعرفان وشاعر مثل كعب ثم حسان
من سوء حظي لأدري اسم ريجان يفوح منه شذى في كل أحيان

.....

والحال اني لفي هم واحزان لبعدمك لست يا خلي بفرحان

لقد جرى بيننا حكم لنان بالبعد ثم نوى يا خير اخوان

ويقول في رثاء الشاعر « في وى » :

بكيننا طول أيام على ذي الجاه مكرام
على (في وى) أبي ليلي زعيم القول خدام
طويل الباع في العلم اديب العصر مقـدام

وقصائده كثيرة نكتفي بهذا القدر لعدم اتساع الوقت

٣ - أبو الرحمة محمد الفيئ : ولد محمد بن محيي الدين الفيئ سنة

١٣٢٢ هـ / ١٩٠١ م في قرية « بلكوت » قريبة من « منجيري » (٣٣) .
وبعد دراسته في المساجد بـ (وندور) و (مناركاد) وغيرها التحق بكلية
الجمالية ، وبعدها بكلية الباقيات الصالحات . وبعد أن تخرج منها رجع
إلى بلده سنة ١٩٣٢ م وعمل مدرسا في بعض المساجد وبكلية دار العلوم
حتى توفي سنة ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٢ م .

من تصانيفه في النثر : (تحذير الناس عن وسواس الخناس) و
(فتح الملائكة) و (نفحة الباري في مناقب الشيخ زين الدين
البخاري) . وكان قديرا باللغة العربية ، وماهرا في العلوم والفنون
المختلفة . وكان يرسل شعرا كثيرا من أصدقائه الذين لهم ذوق في الشعر .
وشعره جيد الأسلوب ، غزير المعاني ذو عاطفة نبيلة ، وخيال بديع .
وكان الفيئ يتعمق الى بواطن الامور فيخرج لبها الى الناس ويبيدها في
أشعاره . فهي تتميز بالعروبة الكاملة ، ولا يطيل الكلام بالمدح والثناء
وأما يكتفي بالاشارات الى الوقائع والحوادث . وله أشعار في الوجدانيات
والرسائل والتهاني وله قصيدة في مدح النبي ﷺ ، عدة أبياتها ٢٤ بيتاً .

يقول فيها :

الى اخلاص توحيد دعاهم أبي التقليد نهج الجاهلينا
وذاك الدين نظمهم بسلك نفيس فاق نظم الناظمينا
وكانوا إخوة من قبل كانوا أشداء الخصومة مهرقينا

.....

وكان العفوشيته وحلم فأحلم منه ما في الغابرينا
وهذا سيفه ما من حديد به دانت رقاب الكابرينا
أقروا أنه الهادي أمين سوى المحروم من متكبرينا

وكتب في رسالة الى صديقه :

ومـا للمرء أعلى من سرور عليه كل حاجات تدور
فما الأموال في الدنيا وملك وجنات اذا فقد السرور
فخذ مني دعاء باختصار سرورا دائما هب لي قدير
وله قصيدة في رثاء (علي المولوي كديامو البلنكوتي) المتوفى سنة
١٣٤١ هـ / ١٩٢٢ م ، يقول :

وذاك بحر عظيم كان سيلانا في كل قطر وعذب الماء نفعانا
بل ذاك بحر علوم كان يروينا استاذهم فهم الانهار جريانا
غروب ذاك النجم أبكنا واشجانا وكيف نسلو وطيب العيش قد بانا

ومراسلاته النظمية كثيرة .

لقد اشتهر كثير من الشعراء في القرن العشرين كما ذكرنا من قبل ،
منهم المتوفون ومنهم الموجودون على قيد الحياة . قد ذكرنا ثلاثة من
المتوفين الذين تفوقوا في فنون مختلفة من الشعر ، ومن مشهوري هذه

الطبقة عبد الله النوراني وأبو سلمى محمد جمال الدين وعبد الرحمن الفضفري وعبد القادر الفضفري وغيرهم . وهذه كلمات نوجزها في أخبارهم وأشعارهم :

١ - عبد الله بن محمد النوراني^(٣٤) : ولد في (كدبرم) قريبا من (ترتالا) سنة ١٣٣٣ هـ / ١٩١٢ م وتوفي سنة ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣ م وعنه قال (الفلكي) : « انه كان شاعرا سعيدا وفخرا لكيرالا » ، تتميز أشعاره بالعروبة . وكان (للنوراني) صديق اسمه صالح وكانت له حية جميلة ، فقال في مدح لحيته :

واهاً للحية صالح ياواها من شعرها يبدو الصلاح مضيًا
خد أسيل ليس يلتمس سوى حور حسان لم يلاق بغيا
كم حفصة وضيّة وضيّة يعشقه لشقائهن بكيا

.....

لو كانت امرأة العزيز تناله ليصير يوسف عندها منسيا

وقال في مدح شعر محمد الفلكي :

أرى الأشعار تنبع من خلال يراع محمد الفلكي الجمالي
فلست لشعره تلقى نظيراً وأين الدر من كُثْبِ الرمالِ

ويقول مودعا بلدته (ترتالا) وطلبته هناك :

أيا « ترتال » ذا وقت الوداع قد استودعتك الله العظيما
وأركب قارباً في نهر دمع وأذهب من هنا كئيباً هيوما
تلامذتي ويا أفلاذ كبدي هدام رُبنا النهج القويما

٢ - أبو سلمى محمد جمال الدين : ولد في كيرالا قريبا من (بدكارا)

سنة ١٩١١ م وهو خريج دار السلام بعمراباد . توفي سنة ١٩٨٥ هـ /

١٩٦٥ م كان كاتباً مشهوراً وشاعراً مجوّداً . كتب جواباً لابي ليلى :
 حصلت على مرقومكم إذ أتانيا فأسبل دمعي بعض ما كان حاويا
 ومذ ذقت مر البين أيام بينكم أبيت أذوق الوصل منكم لياليا
 وقال في رثاء أبي ليلى :

أبا ليلى أتأني بعد فينا ولو بعد الشهر أو السنينا
 فكم لي من حكايات إليكم وكم خير خبأت لكم كينا

دفنت نزيل أصحاب كرام فصرت لهم زميلاً أو قرينا
 حييت وكنت أشرفنا جميعاً ومت وكنت أشرف ميتينا

٣ - عبد القادر الفضفري^(٣٥) : ولد في فضفر سنة ١٣١٣ هـ /
 ١٨٩٥ م وهو خريج الباقيات الصالحات « بولور » . عمل معلماً في
 مدرسة القاسمية « بتنجاوور » وفي المدرسة القادرية وفي « ترورنغادي »
 و « مناركاد » ودار العلوم « بوازكاد » .

ومن تأليفاته حاشية قطر الندى ، وديوان الأشعار الغريبة والأمثال
 العجيبة . وجمع في هذا الكتاب الأبيات المختارة من الكتب والمجلات
 وكثيراً من أشعاره .

وله قصيدة في مدح خير الورى ومنها :

محمد أفضل الخلق ذو العصم محمد صاحب القرآن والحكم
 محمد قاسم الأموال والنعم محمد أشرف الأعراب والعجم
 محمد صادق الأفعال والكلم
 محمد راحة الدنيا وضرتها محمد أمة أهدى لنهايتها

محمد عروة الوثقى وحجتها محمد زينة الدنيا وبهجتها
محمد كاشف الغمات والظلم
وقال يرثي علي « الحاج محمد كتي الكويقاتودي » :

والنفس حائرة والعين ساهرة للدمع ساكبة ممزوجة بدم
به المليبار باهت بين اخوتها فن يقاربه في الهند كالعجم
مسك تَضَوُّع في الدنيا روائحه يا ليت مدته دامت بلا دم

إن الشعر العربي قد اجتذب الطلاب والعلماء اليه حتى جعله بعضهم
موضوعا لاطروحة الدكتوراه . ومنهم ويران محيي الدين الذي قد أتم
دراسته عن هذا الموضوع . يقول : العاطفة الدينية تنعكس في أشعار
كيرالا العربية . والمدائح والترحيب قد شاعت كثيرا في الشعر العربي في
كيرالا . وكان الشعراء من قديم يمدحون بالأشعار العربية العلماء والأمراء
الذين يفدون اليهم من البلاد العربية وغيرها للاشتراك في المحافل المختلفة
فيستقبلهم الكيراليون استقبالا حارا وينشدون أمامهم أناشيد ترحيبية
عربية قرضا شعراؤهم . ومن أحسن من قرض في هذا الموضوع أبو ليلى ،
والنوراني ، والفلكي ، ومحمد أبو الصلاح الباقوي ، وغيرهم .

والمراثي هي الأكثر في الأشعار العربية في كيرالا . ولها شهرة واسعة
بين العلماء والعوام ، لأن موت الأقباء والعلماء حرض الشعراء على ذكر
محاسنهم ، وفرط الحزن بموتهم ، وقرضوا ما اضطربت به نفوسهم من هذه
العاطفة الحزينة . ومن المجيدين في الرثاء أبو ليلى ، والفلكي ، والسيد
حسين بن محمد ، والمولوي محمد أبو الكمال .

وشعر المراسلات أيضا من الأشعار الهامة في ديار مليبار وكانوا يرون
فيها نوعين من التمتع : تمتع الاخبار وتمتع الذوق الأدبي ، وفي مقدمة هذا

القبيل القاضي أبو بكر بن محي الدين « الكالكوتي » والفلكي وأبوليلي « والفضري » وغيرهم . وشعر الهجاء قليل بين أشعار الكيرلية العربية . وفي الجملة توجد في الأشعار العربية الكيرلية جميع أنواع الشعر العربي فالشعر العربي في كيرالا روضة مزدانة ولا تزال مورقة مخضرة ، تفوح منها الروائح الطيبة الى أرجاء مختلفة إن شاء الله .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المحواشي و المراجع

- (١) C . A ., Innes- Madras District Gazatteers Madras, 1951. Vol. I, P-26
- (٢) Panikkar, Sardar, K.M.A History of Kerala: Anna Mala University, 1959. P-8
- (٣) C.A Innes. Ibid
- (٤) Kunhan Pillai, Ilamkulam. Kerala History During V and VI Centuries: N.B.S, Kottayam, 1970. P-40
- (٥) Panikkar, Sardar, K.M. Ibid
- (٦) Kunhan Pillai. The Dark Pages of Kerala History: N.B.S. Kottaya, 1963. P-32
- (٧) امرؤ القيس : المعلقة .
- (٨) علي الجارم : البلاغة الواضحة : دار المعارف ، مصر ١٩٥٦ - ص ٥٧ .
- (٩) القرآن الكريم : سورة الحجر ١٥ ، الآية ٧٩ .
- (١٠) Encyclopaedia of Islam. London 1913. Vol. VIII P-838.
- (١١) Sreedharan Nair, Commander. A Maritime History of India: Ministry of Information and Broadcasting, Delhi 5, 1965. P-43
- (١٢) Ibid
- (١٣) Panikkar, Sardar, K. M. Ibid, P-9
- (١٤) Shamsulla Qadiri. Ancient Malabar: Calicut 1954. P-22

Sayyid Muhammad, P.A. A History of Kerala Muslims: Ernamkula, 1961. (١٥)

P-74.

- (١٦) أحمد كويا الشالياتي : أعيان ملييار . مخطوط موجود في مكتبة المخطوطات في شاليات في كيرالا .
- (١٧) مخطوط هذا التخميس موجود لدى محمد كويا قاضي كالكوت .
- (١٨) مخطوط هذا التخميس موجود لدى محمد كويا قاضي كالكوت .
- (١٩) محمد النووي : سلام الفضلاء ، مصر ١٩٢٠ ص ٢ .
- (٢٠) هذه القصيدة مطبوعة ونسختها موجودة في مكتبات ملييار .
- (٢١) هذه القصيدة غير مطبوعة ، ونسختها موجودة لدى الأستاذ ، ومحمد عميد كلية الفاروق السابق .
- (٢٢) المرجع السابق .
- (٢٣) الدكتور م . م . محمد : مساهمة كيرالا العربية ، أطروحة الدكتوراه ، الجامعة الاسلامية بعليكره - ١٩٧٦ ، ص ٣٠ .
- (٢٤) عبد القادر ، الفضفري : جواهر الاشعار : كيرالا ١٩٣٩ - الباب الخامس .
- (٢٥) الدكتور محمد : المرجع السابق .
- (٢٦) المرجع السابق - من ص ١٦٩ الى ١٧٣ .
- (٢٧) الدكتور ويران محيي الدين : أطروحة الدكتوراه : جامعة كالكوت - ١٩٨٥ .
- (٢٨) المرجع السابق .
- (٢٩) الدكتور محمد : المرجع السابق ص ٨٢ .
- (٣٠) المرجع السابق : ص ١٩٦ .
- (٣١) ديوان أبي ليلى : مخطوط موجود لدى صاحب القلم .
- (٣٢) الدكتور ويران محيي الدين : المرجع السابق .
- (٣٣) المرجع السابق .
- (٣٤) المرجع السابق .
- (٣٥) عبد القادر الفضفري : المرجع السابق .